EUI ROBERT SCHUMAN CENTRE

التعليم ساحة للتنافس السياسي:
حالة مدينة القامشلي في شمال شرق سوريا

سلوى الأحمد

تقرير مشروع بحثي
مشروع المسارات السورية
٤ تموز ٢٠٢٣

Syrian Trajectories Project

التعليم ساحة للتنافس السياسي: حالة مدينة القامشلي في شمال شرق سوريا
سلوى الأحمد
التاريخ: الثلاثاء، ٤ تموز ٢٠٢٣
تولّت ترجمة هذه الورقة مايا صوّان

منشوراتنا هي جزء من مشروع "المسارات السورية"، وهو مشروع بحثي في برنامج "مسارات الشرق الأوسط" ضمن مركز روبرت شومان للدراسات العليا بالجامعة الأوروبية بفلورنسا.

إن محتوى منشورات المشروع هو من مسؤولية المؤلّفين حصراً.

يمكن تنزيل هذا النص لأغراض البحث الشخصية فقط. إن أيّ استنساخٍ إضافي لأغراض أخرى، سواء على شكل نسخ مطبوعة أم إلكترونية، يتطلّب موافقة المؤلّفين. أما في حال الاستشهاد بالنص أو اقتباسه، فيجبُ الإشارة إلى الأسماء الكاملة للمؤلّفين والمحرّرين، إضافةً إلى العنوان، والسنة التي نُشِر فيها، والناشر.

هذا المشروع ممول من قبل الاتحاد الأوروبي وألمانيا كجزء من مبادرة السلام السورية التي تنفذها الوكالة الألمانية للتعاون الدولي. الآراء المعبر عنها في هذا البحث تعبر عن آراء المؤلف ولا تمثل آراء المانحين أو معهد الجامعة الأوروبية.

التعليم ساحة للتنافس السياسي:
حالة مدينة القامشلي في شمال شرق سوريا

سلوى الأحمد*

* سلوى الأحمد باحثة سورية في مشروع المسارات السورية، في مركز روبرت شومان للدراسات العليا، في معهد الجامعة الأوروبية، تتركّز أبحاثها على الحوكمة المحلية في شمال شرق سوريا، مع اهتمام خاص بقطاع التعليم.

الفهرس

ملخّص تنفيذي ٣

مقدّمة ٤

الجزء الأول: لمحة عامة عن التعليم في مدينة القامشلي ٦

الجزء الثاني: دوافع ووسائل التنافس حول التعليم في مدينة القامشلي ٨

النظام السوري: دوافع السيطرة على التعليم وأدواتها ٨

الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا: دوافع السيطرة على التعليم وأدواتها ٩

الجزء الثالث: وجهات النظر المحلية والاستياء من مناهج التعليم في القامشلي ١١

خاتمة ١٣

ملخّص تنفيذي

بسط حزب الاتحاد الديمقراطي سيطرته على الأمن والحكم في منطقة شمال شرق سوريا في تموز ٢٠١٢. وبينما سيطرت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا على معظم مدينة القامشلي منذ تشكيلها في العام ٢٠١٨، حافظ النظام السوري على منطقة صغيرة تُعرَف بـ"المربّع الأمني". فما كان من ذلك إلا أن أدّى إلى نشوء نظامَي حكم مختلفَين في المنطقة، أصبح فيهما قطاع التعليم ساحةً للتنافس بين الطرفَين.

ويبقى توفير التعليم في مدينة القامشلي أمراً بالغ الأهمية لكلّ من النظام السوري والإدارة الذاتية في سعيهما إلى اكتساب الشرعية، وفرض السيطرة على السكان المحليين. لكن على الرغم من الجهود التي تبذلها الإدارة الذاتية للإقرار بحقّ الطلاب الأكراد في تعلّم لغتهم الأم، وتحسين مستواهم التعليمي، ثمة خلاف واسع النطاق في المجتمع المحلي حول التطبيق السريع للمناهج، وإغلاق الإدارة الذاتية لأشكال التعليم البديلة. في المقابل، يستغلّ النظام السوري الاعتراف الدولي بشهاداته لاستقطاب الطلاب، وإعادة تأكيد نفوذه في المدينة.

وكان للصراع المتواصل بين النظام السوري والإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا من أجل السيطرة على قطاع التعليم في القامشلي عواقب وخيمة على التعليم في المدينة. ولمّا تراجعت جودة التعليم الرسمي، أصبحت المدارس والمعاهد الخاصة الخيار الأول للعديد من الأُسَر للاستحصال على شهادات مُعترَف بها، إلا أن تكلفتها المرتفعة وصعوبة الوصول إليها يؤدّيان إلى التفاوت الاجتماعي وانعدام المساواة بين الجنسَين.

مقدّمة

ما إن انسحبت قوات النظام حتى بسط حزب الاتحاد الديمقراطي نفوذه، على مدى أشهر عدّة في العام ٢٠١٢، على مناطق في شمال سوريا ذات غالبية من السكان الأكراد.[١] وبعد أن تمكّن الحزب من السيطرة فعليّاً على الأمن والحكم في المنطقة، انتقل إلى إنشاء إدارة ذاتية بحكم الواقع، تطوّرت وأصبحت في العام ٢٠١٨ الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا. بيد أن النظام السوري حافظ على موطئ قدم استراتيجي في مدن معيّنة، باسطاً سيطرته على بعض جوانب الحوكمة المحلية. أما في مدينة القامشلي الواقعة في محافظة الحسكة، فسيطر كلٌّ من قوات سوريا الديمقراطية، الجناح المسلّح للإدارة الذاتية، والأسايش، قوى الأمن الداخلي الكردية، على الأجزاء الشرقية والغربية للمدينة، فيما حافظ النظام على وجودٍ له في جيب صغير من المدينة يُعرَف بـ"المربّع الأمني" (أنظر الخريطة ١).

الخريطة ١: توزُّع السيطرة على الأراضي في مدينة القامشلي

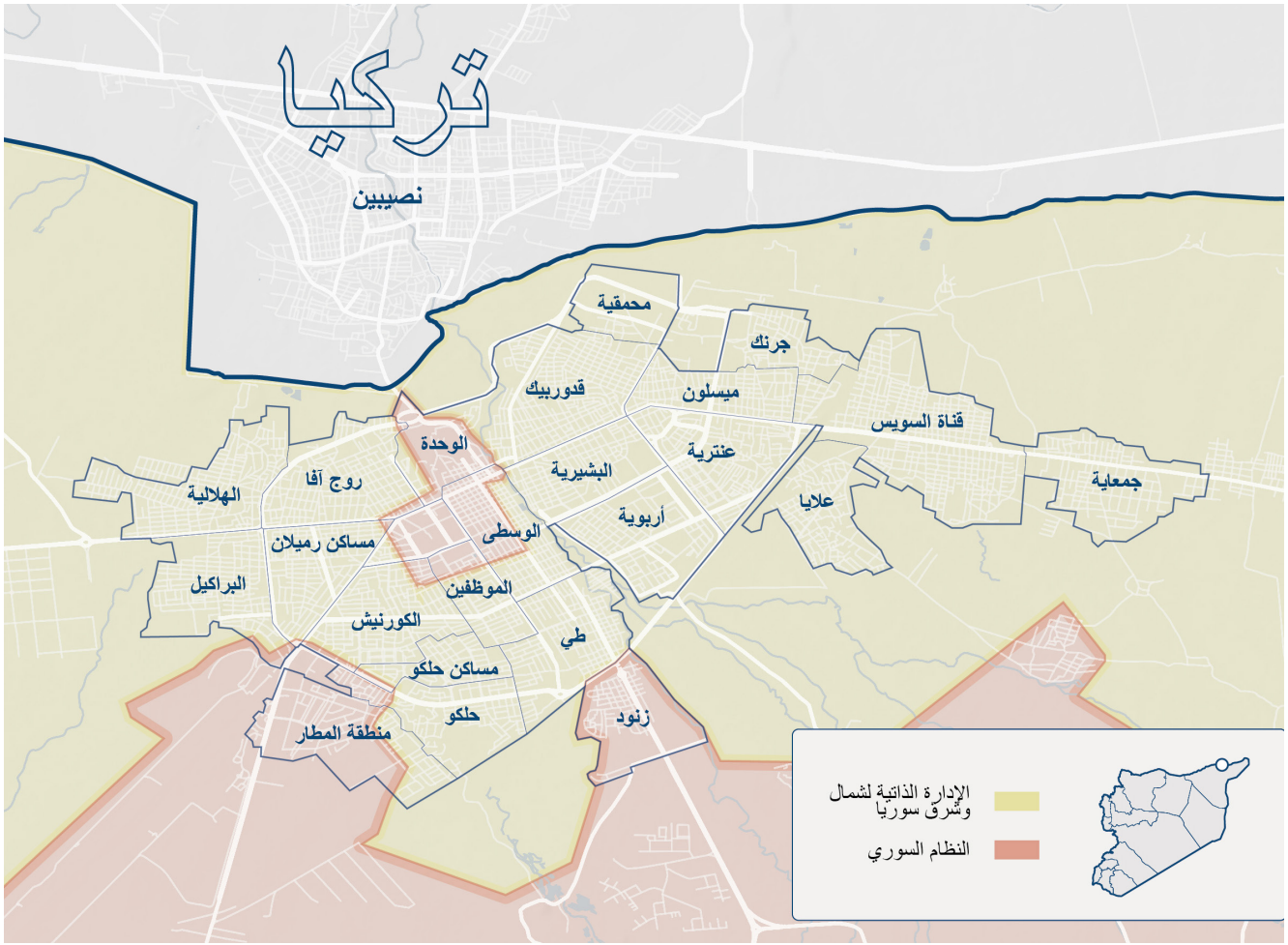

١ عبدالله الجباصيني، "المقاومة المدنية للتجنيد العسكري في المناطق الكردية في شمال سوريا: القصة غير المرويّة" (بالإنكليزية)، *مجلة بناء السلام والتنمية*، رقم ١٢(٣)، ١٠٤-١١٠، https://bit.ly/3pPulGY

نتيجةً لذلك، نشأ نظاما حوكمةٍ مختلفان في المنطقة، واحد بقيادة الحكومة السورية، وآخر بقيادة الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا. صحيح أن هيكلَي الحوكمة هذين قد يعملان بالتوازي، كما هي الحال في ما يتعلّق بتوفير الأمن وخدمات الرعاية الصحية، أو قد يتداخلان في عدد من المجالات، مثل معاملات الأراضي والبناء، إلا أن تنافساً مباشراً يقوم بينهما، تنافسٌ يتجلّى أكثر ما يتجلّى في قطاع التعليم.[٢] فقد حوّل كلٌّ من الإدارة الذاتية والحكومة السورية التعليم في مدينة القامشلي إلى مساحة للتنافس على النفوذ والسيطرة الفعلية على السكان المحليين.

تناولت الأبحاث السابقة المشهد السياسي الدينامي في المنطقة منذ إنشاء الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا،[٣] وركّز معظمها على الأمن،[٤] والقضايا الاقتصادية،[٥] والحوكمة، في المنطقة الشمالية الشرقية الأوسع.[٦] وقد نُظِر بشكل أساسي إلى التعليم في هذا السياق الواسع على أنه يخضع بالكامل لسلطة الإدارة الذاتية.[٧] لكنّ هذه الدراسات قدّمت تقييماً عاماً للاحتياجات التعليمية،[٨] وللمنهج ودوره في بناء إيديولوجيات جديدة،[٩] ولم تبحث في التعليم بوصفه مجالاً للتنافس السياسي في المناطق حيث السيطرة على الأراضي مُجزّأة، كما الحال في القامشلي.

سعياً إلى سدّ هذه الثغرة، تنظر هذه الورقة في الطرق التي يستخدم بها الطرفان التعليم في القامشلي أداةً للهيمنة، وفي تأثير هذا التنافس على الأجيال القادمة. تستند الورقة إلى ٢٨ مقابلة شبه منظّمة أُجريَت عن بُعد، بين تشرين الأول وكانون الأول ٢٠٢٢، مع مدنيين محليين، ومسؤولين حكوميين، وموظّفين في قطاع التعليم مرتبطين بالنظام السوري والإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا في مدينة القامشلي. وقد أُخِذ التكوين الإثني والديني المتنوّع للمدينة في عين الاعتبار عند اختيار الأشخاص الذين جرت مقابلتهم. وتقدّم الورقة لمحة عامة عن قطاع التعليم في القامشلي منذ العام ٢٠١١، وتحلّل الاستراتيجيات التي يعتمدها النظام السوري والإدارة الذاتية لتشجيع الدخول إلى مدارسهما، ثم تنظر في استجابات المدنيين. وتخلص الورقة إلى سردٍ للتفضيلات ووجهات النظر المحلية في ما يتعلّق بأنظمة التعليم في مدينة القامشلي.

---

٢ مقابلة مع مدني في مدينة القامشلي، تشرين الأول ٢٠٢٢.

٣ فيتوريا فيديريشي، "صعود 'روج آفا': الاستقلالية الكردية في الصراع السوري" (بالإنكليزية)، *مجلة مراجعة الشؤون الدولية التابعة لكلية الدراسات الدولية العليا*، رقم ٢ (٢٠١٥): ٨١-٩٠، http://bit.ly/3HJ3li1

٤ تشيلسي فوغل، "جدوى الحوكمة الديمقراطية في دول الأمر الواقع: دراسة حالة مقارنة لكردستان العراق و'روج آفا' سوريا" (بالإنكليزية)، أطروحة (جامعة جنوب فلوريدا، ٢٠١٨)، https://bit.ly/3IoruvN

٥ سنان حتاحت، "الاقتصاد السياسي للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا"، تقرير مشروع بحثي، (فلورنسا: معهد الجامعة الأوروبية، برنامج مسارات الشرق الأوسط، مشروع زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا، ٣١ كانون الثاني ٢٠٢٠)، https://bit.ly/3JwVh5C

٦ رنا خلف، "حكم 'روج آفا': طبقات الشرعية في سوريا" (بالإنكليزية)، ٢٠١٦، *تشاتام هاوس للمعهد الملكي للشؤون الدولية*، ٨ كانون الأول ٢٠١٦، https://bit.ly/3OCxmVK

٧ الوكالة الأميركية للتنمية الدولية: "الخدمات الأساسية في سوريا II: تقييم قطاع التعليم في شمال شرق سوريا" (بالإنكليزية)، أيار ٢٠١٩، https://bit.ly/3E6NOaN

٨ موقع ReliefWeb، "صحيفة وقائع: تقييم احتياجات التعليم – شمال شرق سوريا، أيار - حزيران ٢٠١٨" (بالإنكليزية)، *مبادرة REACH*، ٣٠ حزيران ٢٠١٨، https://bit.ly/3YEyAkS

٩ بينار دينك، "محتوى الكتب المدرسية في الدول (القومية) و'أنظمة الحكم الذاتي من دون دولة': مقارنة بين تركيا والإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا (روج آفا)" (بالإنكليزية)، الأمم والقومية ٤، المجلّد ٢٦ (٢٠٢٠): ٩٩٤-١٠١٤، https://bit.ly/3LWPeHV

الجزء الأول: لمحة عامة عن التعليم في مدينة القامشلي

تقع القامشلي في محافظة الحسكة في شمال شرق سوريا، وهي مدينة مختلطة إثنياً (أنظر الخريطة ٢).[١٠] قُدّر عدد سكان القامشلي في تشرين الثاني ٢٠٢١ بـ٢٨٠ ألف نسمة، علماً أن العرب والأكراد يؤلّفون غالبية السكان المحليين فيها، مع وجود أقلّية مسيحية كبيرة، معظمها من السريان.[١١]

الخريطة ٢: التكوين الإثني لمدينة القامشلي

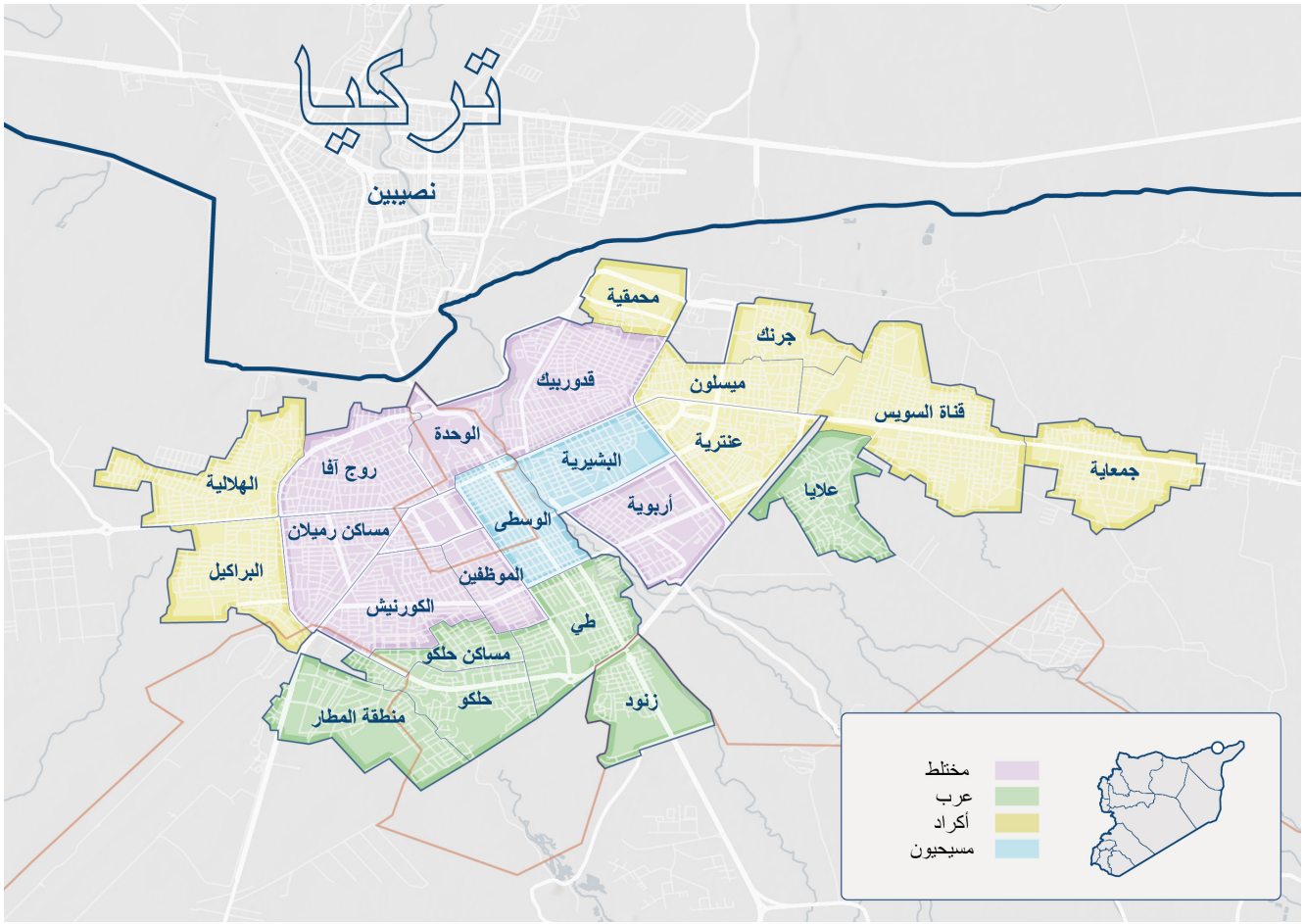

كانت المدينة قبل العام ٢٠١١ تضمّ ما يزيد عن ١٤٠ مدرسة رسمية ابتدائية ومتوسّطة وثانوية، و٨ مدارس خاصة ابتدائية ومتوسطة، تديرها الطوائف المسيحية المختلفة (أي مدارس تابعة للكنائس)، ومدرستَين خاصتَين ثانويتَين.[١٢] كانت هذه المدارس خاضعة مباشرةً لإشراف وزارة التربية والتعليم، وتضمّ أكثر من ٩ آلاف معلّم يدرّسون المنهج الرسمي.[١٣] في العام ٢٠١٠، بلغ عدد الطلاب الإجمالي في المدارس الابتدائية والمتوسّطة والثانوية، الرسمية

١٠ مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، "مكتب مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين سوريا/القامشلي - نهاية العام ٢٠١٧/صحيفة وقائع" (بالإنكليزية)، ٢٠١٧، https://bit.ly/43m3Szj

١١ منظمة IMMAP، " شمال شرق سوريا، الملف رقم ١٦ حول العودة وإعادة الدمج، مدينة القامشلي، كانون الأول ٢٠٢١" (بالإنكليزية)، كانون الأول ٢٠٢١، https://bit.ly/3MSlcXg

١٢ مقابلة مع مسؤول حكومي في مديرية تربية الحسكة، الحسكة، تشرين الأول ٢٠٢٢.

١٣ شبكة التحليل الحضري – سوريا، "القامشلي – تقييم الاحتياجات المحلية" (بالإنكليزية)، الأمم المتحدة، ٢٠٢٢، https://bit.ly/3LLeoce

والخاصة، حوالى ٥٨ ألفاً،[١٤] في حين شهدت معظم المدارس في القامشلي نسبة التحاق كبيرة في العام ٢٠١١. يُذكَر أن معدّل الأمّية في القامشلي، وفقاً لإحصائيات العام ٢٠١١، كان الأدنى في المحافظة.[١٥]

أما في ما يتعلّق بالبنية التحتية، فكانت معظم المدارس الرسمية في القامشلي سيّئة الصيانة، وغير ملائمة لعدد الطلاب الذي تحتويه. كذلك كانت تفتقر إلى المختبرات والمكتبات والمنشآت الأساسية الأخرى، ناهيك عن أن أثاثها غالباً ما كان متهالكاً. مع ذلك، لم تكن مديرية تربية الحسكة تمتلك الأموال الكافية لإجراء الإصلاحات والتغييرات اللازمة. ولذا، برزت لدى السكان المحليين مخاوف بشأن سلامة مرافق التعليم الرسمية وبنيتها التحتية، بما في ذلك مشاكل مثل عدم توفّر الوقود الكافي للتدفئة.[١٦] وفي ظلّ الموارد المحدودة، أُعطيَت الأولوية للصيانة الإنشائية للمدارس في أرجاء المحافظة، علماً أن المدارس الخاصة كانت عموماً مُصانة، وفي حالة جيدة.[١٧] وإن كان سوء الصيانة عقبة معروفة في طريق التعليم، يبدو أن العوامل الاجتماعية-الاقتصادية والثقافية تعيق هي أيضاً الوصول إلى التعليم. ففي العديد من الحالات، لا تعطي الأُسَر الأولوية للتعليم بصفته وسيلةً لتأمين مستقبل أولادها، بل تركّز أكثر على قدرتها على إعالتهم مالياً من خلال العمل.

عقب اندلاع الصراع السوري في العام ٢٠١١، تأثّر قطاع التعليم في القامشلي بتغيّر السيطرة على الأراضي. فلمّا كان أكثر من ٩٠ في المئة من المدارس يقع خارج المربّع الأمني التابع للنظام، بسطت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا قدراً كبيراً من السيطرة على قطاع التعليم في المدينة. وطالت هذه السيطرة المدارس الابتدائية على نحو تدريجي بين العامَين ٢٠١٥ و٢٠١٧، ثم المدارس المتوسطّة في العام ٢٠١٨، وارتبطت إلى حدّ كبير بمدى استعداد القوى التعليمية التابعة للإدارة الذاتية، وبتطبيق منهج جديد. الواقع أن عمل الإدارة الذاتية على إنشاء نظام تعليمي بدأ في العام ٢٠١٣ بتأسيس معاهد لتدريب المعلّمين على التدريس باللغة الكردية، وتطبيق منهج جديد. ثم أُنشِئَت معاهد إضافية في العام ٢٠١٥ لتدريب معلّمي اللغتَين السريانية والعربية على المنهج الجديد، وإعدادهم لتولّي أدوارهم في المؤسسات التعليمية التابعة للإدارة الذاتية.

وقد استغرق إعداد المعلّمين عموماً ثلاثة إلى ستة أشهر، فيما خُصّصَت دورات تدريبية صيفية سنوية لمجاراة التحديثات في المنهج الدراسي، مع العلم أن المعلّمين كانوا في غالبيتهم من حملة الشهادات الإعدادية والمتوسّطة، و٣٠ في المئة منهم فقط يحملون شهادة جامعية.[١٨] وبما أن المدارس في القامشلي لم تتضرّر بشكل كبير في الصراع، لم تشيّد الإدارة الذاتية مدارس جديدة، بل ركّزت على ترميم المباني الموجودة وتجديدها. وهكذا خضع ما يزيد عن ٦٥ مدرسة في المدينة لبعض التجديد، وعدد أقلّ لصيانة إنشائية، بين العام ٢٠١٦ وشهر كانون الأول ٢٠٢٢. يُذكَر أن بعض هذه المدارس استُخدِم لاستقبال الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة، في حين حُوّلَت منشآت تعليمية أخرى إلى مراكز عسكرية وإدارية.[١٩]

بحلول العام ٢٠٢٢، كانت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا قد سيطرت على ٩٠ في المئة تقريباً من المدارس في مدينة القامشلي. وضمّت المدارس الابتدائية والمتوسّطة والثانوية ٢٣٠٠ معلّم، وأكثر من ١٦ ألف طالب يتبعون مناهج الإدارة الذاتية باللغات الكردية والسريانية والأرمنية. في مقابل ذلك، تدير وزارة التربية السورية حوالى ٢٠ مدرسة في المربّع الأمني، علماً أن حوالى ٢٦٠٠ مدرّس و٤٠٥ موظّفين إداريين يعملون في المدارس الحكومية،[٢٠] في حين أن عدد الطلاب في المدارس الابتدائية والمتوسّطة يصل إلى ٤٥ ألفاً، وفي المدارس الثانوية إلى ٨٣٠٠ تقريباً.[٢١]

---

١٤ مقابلة مع مسؤول سابق في لجنة التربية، القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

١٥ يونس خلف، "نتائج المسح الاجتماعي والاقتصادي في الحسكة"، الثورة، ٨ آب ٢٠١٢، https://bit.ly/3nGcXDY

١٦ شبكة التحليل الحضري – سوريا، "القاملشي – تقييم الاحتياجات المحلية" (بالإنكليزية).

١٧ مقابلة مع مسؤول سابق في قطاع التعليم في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

١٨ مقابلة مع مسؤولة في قطاع التعليم في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

١٩ المرجع السابق.

٢٠ مقابلة مع مسؤول في مديرية التربية، القامشلي، تشرين الأول ٢٠٢٢.

٢١ يعيش معظم هؤلاء الطلاب خارج المربّع الأمني.

لا بدّ من الإشارة إلى أن المدينة شهدت في السنوات الأخيرة زيادةً كبيرةً في عدد المدارس والمعاهد الخاصة التي تدرّس المناهج الرسمية،[٢٢] حيث وصل العدد في كانون الأول ٢٠٢٠ إلى أكثر من ٤٠ مدرسة ومعهداً.[٢٣] وقد حصل ١٢ منها على ترخيص من وزارة التربية، فيما عملت المدارس والمعاهد الباقية بتراخيص مؤقّتة مدّتها سنة واحدة، أو عملت بموافقة ضمنية (ووعد) من وزارة التربية في انتظار الحصول على تراخيصها.[٢٤] أما متوسّط الرسوم الدراسية في المدارس الخاصة الجديدة، فبلغ ٨٠٠ ألف ليرة سورية للمدارس الابتدائية، ومليون ليرة للمدارس المتوسّطة، و١،٢ مليون ليرة للمدارس الثانوية، في أيلول ٢٠٢٢، (أي ما يعادل ٢٦٥ و٣٣٢ و٣٩٨ دولاراً على التوالي، بحسب سعر الصرف الرسمي البالغ ٣٠١٥ ليرة مقابل الدولار في تلك الفترة). هذا وبقيت المدارس الخاصة التابعة لمختلف الطوائف المسيحية، حتى تلك التي تقع خارج المربّع الأمني التابع للنظام، خارج سيطرة الإدارة الذاتية. وتستمر المدارس هذه في تدريس المنهج الحكومي، إلا أنها مكتظّة، إذ تضمّ طلاباً من شتّى الخلفيات الإثنية والدينية.[٢٥]

الجزء الثاني: دوافع ووسائل التنافس حول التعليم في مدينة القامشلي

تحوّل التعليم في مدينة القامشلي إلى ساحةٍ للتنافس على السيطرة والنفوذ بين النظام السوري والإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا. وبدأ هذا التنافس في العام ٢٠١٥، حينما قررت مؤسسة اللغة الكردية (*sezya zimanê kurdi*)[٢٦] تدريس اللغة الكردية في المنطقة الواقعة بين مدينة المالكية (ديريك) ومدينة الحسكة.[٢٧] ردّاً على ذلك، أمرت وزارة التربية السورية بإقفال المدارس التي تعلّم باللغة الكردية، ما عطّل تعليم الطلاب.[٢٨] واتُّفِق في ما بعد على تدريس اللغة الكردية لبضع ساعات إلى جانب اللغة العربية في المدارس الرسمية، إلا أن المناخ السياسي والعسكري المتقلّب غالباً ما أدّى إلى فتح المدارس وإغلاقها. ثم اشتدّت حدّة الصراع في السنوات اللاحقة، ما دفع الإدارة الذاتية إلى إغلاق المدارس الابتدائية والمتوسّطة والثانوية التابعة لوزارة التربية السورية. وعَمَدَ الطرفان، في سعيهما إلى بسط السيطرة، إلى فرض الإجراءات القسرية وتقديم الحوافز لجذب الطلاب للالتحاق بمدارسهما، والتأثير في السكان المحليين.

النظام السوري: دوافع السيطرة على التعليم وأدواتها

منذ بداية الانتفاضة في العام ٢٠١١، وضع النظام السوري في صلب أولويّاته الاستمرار في إدارة أجهزة الدولة لإثبات دوره الذي لا غنى عنه بوصفه مقدّماً للخدمات الأساسية. وعلى الرغم من انسحابه جزئياً من مدينة القامشلي، واصل سعيه إلى الحفاظ على سيطرته على أجهزة إدارية عدّة، وإظهار سلطته من خلال دفع رواتب موظّفي القطاع العام، واحتكار عملية تقديم خدمات معيّنة، حيثما أمكن. فضلاً عن ذلك، حاول النظام الإبقاء على قبضته على

٢٢ مقابلة مع مسؤول تربوي، محافظة الحسكة، تشرين الأول ٢٠٢٢.

٢٣ فُتِحَت هذه المدارس والمعاهد الخاصة وأُقفِلَت مرّات عديدة منذ العام ٢٠١١، بسبب ضغوط من الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا للتوقّف عن تدريس المناهج الرسمية.

٢٤ مقابلة مع صاحب معهد خاص، القامشلي، تشرين الأول ٢٠٢٢.

٢٥ على سبيل المثال، ٤٠ في المئة من طلاب المدرسة السريانية الواقعة في الجزء الغربي من المدينة خارج المربّع الأمني هم أكراد.

٢٦ أُنشِئَت مؤسسة اللغة الكردية سرّاً في العام ٢٠٠٣ لتدريب المعلّمين والأعضاء المهتمّين باللغة الكردية. بعد إنشاء هيئة التربية والتعليم في الإدارة الذاتية لشمال وشرق وسوريا في العام ٢٠٠٣، حصرت المؤسسة عملها بالأبحاث المختصّة باللغة الكردية. أنظر لجنة التدريب في ك ج ك، "لقاء مع مؤسسة اللغة الكردية"، نظام التدريب في الأمّة الديمقراطية (PNDK)، ٢ تموز ٢٠٢٠، http://bit.ly/3x8KEPJ

٢٧ شفان إبراهيم، "العملية التعليمية في مناطق شمال شرق سوريا المختلطة إثنياً"، *منظمة إمباكت للأبحاث والتنمية في المجتمع المدني (IMPACT)*، كانون الأول ٢٠٢٠، https://bit.ly/3NTyHXv

٢٨ المرجع السابق.

المؤسسات التعليمية لفرض سلطته، وتقويض حكم الإدارة الذاتية في المدنية. فاستخدم الكتب المدرسية وسيلةً لتعزيز شرعيته بصفته السلطة الشرعية الوحيدة في سوريا، ولإضعاف شرعية قوى المعارضة في الوقت نفسه.[٢٩]

ومع أن وزارة التربية لا تسيطر على جميع المدارس في مدينة القامشلي، يواصل النظام السوري محاولاته لتقويض شرعية المنهج التعليمي الخاص بالإدارة الذاتية. وتقوم إحدى الاستراتيجيات الرئيسة التي يتّبعها لهذه الغاية على جذب العدد الأكبر من الطلاب عن طريق تكتيكَين أساسيَّين. أولاً، يستغلّ النظام الاعتراف الدولي بمؤسساته التعليمية، إذ إنها الوحيدة التي تستطيع إصدار الشهادات المُعترَف بها دولياً.[٣٠] ثانياً، يعمل على توسيع بنيته التحتية التعليمية، وتقديم التسهيلات الرامية إلى زيادة التحاق الطلاب بالمدارس الرسمية. وتشمل إجراءاته ملء الصفوف بعددٍ مفرطٍ من الطلاب (يتخطّى الـ٩٠ طالباً أحياناً)، واعتماد التدريس بالتناوب في كل مدرسة (وصولاً إلى ثلاث نوبات)،[٣١] واستخدام جميع المساحات المتاحة لتوسيع المدارس (مثل تحويل الطوابق السفلية للمباني الحكومية إلى صفوف)، ووضع الغرف مسبقة الصنع المُقدَّمة من منظمة اليونيسف[٣٢] في ملاعب المدارس لاستيعاب المزيد من الطلاب.[٣٣] ثالثاً، يسعى إلى استقطاب الطلاب الملتحقين في المدارس التي تسيطر عليها الإدارة الذاتية، من خلال تسهيل قبولهم لإجراء الامتحانات الرسمية، حتى وإن لم يسبق أن تعلّموا في مدارس رسمية. هذا ويسهّل النظام على المدارس والمعاهد الخاصة التي تنوي تدريس المنهج الرسمي عملية الحصول على التراخيص، وهو ما كان صعباً قبل العام ٢٠١١.[٣٤]

في موازاة ذلك، يعتمد النظام استراتيجية ثنائية في ما يتعلّق بالمعلّمين الذي فقدوا وظائفهم بسبب نقص المرافق التعليمية. فمن ناحية، لا يزال يدفع رواتبهم للاستمرار في دعمهم مالياً، ومن ناحية أخرى، يعمد إلى استخدام التدابير القسرية، حيث يهدّد بفصل المعلّمين الذين يبدون اهتماماً بالعمل مع الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا. ترمي وسائل الإقناع والإجراءات القسرية هذه إلى إرسال رسالة واضحة إلى السكان المحليين مفادها أن النظام لن يتخلّى عن التعليم، ولن يعترف قطّ بالمنهج التعليمي الخاص بالإدارة الذاتية.

الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا: دوافع السيطرة على التعليم وأدواتها

لقد أصبحت السيطرة على قطاع التعليم أولويةً قصوى للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا في السنوات الأخيرة. ويُعزى السبب في ذلك، أولاً، إلى اعتبار الإدارة التعليمَ جزءاً أساسياً من شرعية حكم المدينة،[٣٥] وثانياً، إلى معتقد إيديولوجي يقول بتشكيل مجتمع سياسي جديد يعترف بالتنوّع الإثني.[٣٦] ويعود السبب في ذلك، ثالثاً، إلى أن قادة عدّة في حزب الاتحاد الديمقراطي يعتقدون بأن التعليم سيكون في نهاية المطاف جزءاً من صفقة سياسية سورية في المستقبل. وقد عبّر عن هذا الرأي مسؤولٌة رفيعة المستوى في الإدارة الذاتية : لدينا مدارس، وموظّفون، ومنهج،

٢٩ محمد مسعود، "المساعي السلطوية لاكتساب الشرعية: قطاع التعليم في سوريا في ظلّ نظام بشار الأسد" (بالإنكليزية)، *مجلة الدراسات المتوسّطية* ٢٦ ، رقم ١ (٢٠١٨):٨٠-١١١، https://bit.ly/3l1JyuS

٣٠ مكتب اليونيسف الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، "المناهج والاعتماد ومنح الشهادات الدراسية للأطفال السوريين في سوريا وتركيا ولبنان والأردن والعراق ومصر"، يونيسف، آذار ٢٠١٥، https://bit.ly/3qYhgvE

٣١ لهذه الغاية، أُلغِيَت المواد كافة التي اعتُبِرَت غير أساسية، مثل الرياضة، والموسيقى، والفنون، إلخ، لتقصير ساعات الدراسة اليومية. مقابلة مع مدرّس في القامشلي، ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٢٢.

٣٢ سانا، "تركيب ٥٠ غرفة صفية مسبقة الصنع في مدارس الحسكة والقامشلي"، ٢٣ أيار ٢٠١٩، https://bit.ly/42indkO

٣٣ أُضيفَت الغرف للمرة الأولى في العام ٢٠١٦، ثم تبعتها ١٦ غرفة أخرى في العام ٢٠١٨، و٢١ غرفة في العام ٢٠١٩. ويبلغ عرض كل غرفة ٥ أمتار، وطولها ٧ أمتار. سانا، "تركيب ٥٠ غرفة صفية مسبقة الصنع في مدارس الحسكة والقامشلي".

٣٤ مقابلة مع مدرّس، القامشلي، ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٢٢.

٣٥ مقابلة مع مسؤول في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، القامشلي، ٣٠ تشرين الأول ٢٠٢٢.

٣٦ إليز بويل إسبينوزا وآدم رونان، "'حرب التعليم' في روج آفا: دور التعليم في بناء مجتمع سياسي ثوري في شمال وشرق سوريا" (بالإنكليزية)، *مجلة Third World Quarterly*، أيلول ٢٠٢٢، https://bit.ly/3OANIhu

وجامعات، ونظامنا التعليمي يخرّج أجيالاً، ويوفّر لقمة العيش لطاقم تعليمي بكامله. ما من نظام أو سلطة دولية أخرى يمكنهما أن ينكرا ذلك، أو أن يزيلا حقّ خرّيجينا وطلابنا في الاعتراف بهم. سيُصار عاجلاً أم آجلاً إلى إيجاد حلّ سياسي".[٣٧]

وإدراكاً من الإدارة الذاتية للتحدّيات الناجمة عن عدم الاعتراف بمدارسها، وتأثير ذلك على التحاق الطلاب بهذه المدارس، اتّخذت سلسلة من التدابير لتشجيع الطلاب على الالتحاق. فعمدت في المقام الأول إلى إعادة التشديد على مبادئها الأساسية في حكم المنطقة، والتي تقوم على مفاهيم التمثيل الإثني، والديمقراطية، واللامركزية، وأساليب التعليم القائمة على المشاركة. فوفقاً لمسؤولة رفيعة المستوى في الإدارة الذاتية، "تركّز مدارس الإدارة الذاتية على جودة التعليم من خلال الأسلوب التشاركي الذي يساعد الطلاب على تكوين آرائهم الحرّة، ويبني روحهم الحرّة. هذا النهج في حدّ ذاته هو حافز للأُسَر لتسجيل أولادها في مدارسنا".[٣٨]

ثانياً، على خلاف المدارس الحكومية، تحرص الإدارة الذاتية على أن تكون مدارسها حسنة التجهيز، وصفوفها غير مكتظّة، بما يؤثّر إيجاباً على جودة التعليم.[٣٩] ثالثاً، اعتمدت الإدارة الذاتية سياسة قبول الطلاب في الجامعات من دون الحاجة إلى اجتيازهم امتحانات خطّية، مُزيلةً بذلك كلّاً من العبء المادي للتعليم، والدورات الخاصة للتحضير للامتحانات النهائية.[٤٠] لقي هذا الأمر ترحيب العديد من السكان المحليين، إذ إنه يوفّر على العائلات أعباء مالية، ويحول دون تحويل التعليم إلى عملية تجارية.[٤١] أخيراً، تتيح الإدارة الذاتية فرص العمل المحتملة للطلاب والعائلات، حيث يحظى خرّيجو معاهدها وجامعتها بالأولوية في التوظيف في مجال الحوكمة التابعة لها، ما يجعل ذلك خياراً جذّاباً للساعين إلى فرص العمل في المنطقة.[٤٢]

على الرغم من ذلك، يبدو أن الإدارة الذاتية اتّخذت إجراءات قسرية لمنع التحاق الطلاب بالمدارس الرسمية. فقد حاولت أولاً أن تعيق الطلاب عن الوصول إلى المدارس الحكومية الواقعة في المربّع الأمني، من خلال عرقلة مواصلاتهم، كما حصل عندما استولت نقاط التفتيش التابعة للأسايش على حافلات مدرسية وأوقفت سائقيها.[٤٣] ثانياً، سعت الإدارة الذاتية إلى مقاطعة تدريس المناهج الحكومية، فارضةً في العديد من الحالات قيوداً على التعليم الخاص، حتى إن قوات الأسايش اعتقلت المعلّمين الذين يدرّسون المنهج الحكومي في دروس خصوصية. كذلك أصدرت الإدارة الذاتية في أيلول ٢٠٢٢ أمراً بإغلاق المعاهد والمدارس الخاصة التي تدرّس المنهج الرسمي، والتي تقع خارج المربّع الأمني.[٤٤] ردّاً على هذا الأمر، أقامت الأُسَر احتجاجاً أمام مركز الأمم المتحدة في المدينة، غير أن قوات الأسايش الحاضرة في المكان بملابس مدنية اعتدت على ما يبدو على المدنيين المشاركين في الاحتجاجات. ولم يسلم الصحافيون أيضاً من الاعتداء لإعدادهم التقارير عن إغلاق المدارس، أو انتقادهم السياسات التعليمية التي تنتهجها الإدارة الذاتية.[٤٥] لكن على الرغم من هذه التحدّيات، لجأ السكان المحليون إلى التدريس في المنازل، وحُوّلَ

٣٧ مقابلة مع مسؤول في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، القامشلي، تشرين الأول ٢٠٢٢.

٣٨ مقابلة مع مسؤولة في قطاع التعليم في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

٣٩ المرجع السابق.

٤٠ ينتهج النظام التعليمي في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا مقاربةً مختلفةً في التعليم مقارنةً بالنظام السوري. تشمل هذه المقاربة العمل على إصلاح نظام تقييم الطلاب. وتستخدم الإدارة الذاتية اليوم طرقاً مختلفةً للتقييم، على غرار المقابلات، والعروض التقديمية، والاختبارات والأوراق القصيرة، كما تأخذ في الاعتبار الجوانب الأخلاقية لأداء الطلاب. هذه المقاربة الشاملة تُطبَّق أيضاً عند قبول الطلاب في الجامعات، حيث الصفوف مفتوحة لأيّ طالب يحمل شهادة الثانوية العامة.

٤١ مقابلة مع طالب في مدرسة تابعة للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، القامشلي، تشرين الأول ٢٠٢٢.

٤٢ مقابلة مع مسؤولة في هيئة التربية والتعليم في شمال شرق سوريا، القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

٤٣ بهدف تجاوز هذه العقبات، بدأ السكان المحليون يستخدمون المركبات الأصغر حجماً، مثل السيارات والدراجات النارية، فيُنزِلون الطلاب على بُعد أمتار قليلة قبل نقاط التفتيش، ثم يقلّونهم مجدداً بعد أمتار قليلة.

٤٤ شرح صاحب مدرسة أن الإدارة الذاتية "أعطتنا مهلة أسبوع لإغلاق المدرسة، متّهمةً إيّانا بتدريس أفكار البعث للطلاب الأكراد. والأهل سبق أن سدّدوا رسوم السنة الدراسية، ويتّكلون علينا لإيجاد حلول بديلة لمواصلة تعليم أولادهم قبل أن يخسروا مستقبلهم". مقابلة مع صاحب مدرسة خاصة، القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

٤٥ سوريا، "'الشبيبة الثورية' تعتدي على صحفي خلال تغطيته الاحتجاجات في القامشلي"، ٢٨ أيلول ٢٠٢٢، https://bit.ly/3B7dFgH

العديد من المنازل الفارغة في المربّع الأمني إلى مدارس لمواصلة التعليم.[٤٦] أخيراً، هدّدت الإدارة الذاتية موظّفيها الذين يسجّلون أولادهم في المدارس الخاصة أو الحكومية لتعلّم المنهج الرسمي، بتعليق رواتبهم أو صرفهم إذا لم يسجّلوهم في المدارس التابعة لها.[٤٧]

ولم تُعفَ المدارس التابعة للكنائس المسيحية، التي تدرّس المنهج الرسمي، من السياسات القمعية للإدارة الذاتية. فقد تلّقت هذه المدارس في العام ٢٠١٨ إشعاراً أولاً لتغيير منهجها، واعتماد المنهج الخاص بالإدارة الذاتية أو منهج قريب منه، ثم أُعيد فتحها بعد أن تفاوض آنذاك رؤساء الكنائس المسيحية مع قوى الأمن التابعة للإدارة الذاتية. لكن هذه الأخيرة عادت وأرسلت إشعاراً آخر، في تشرين الأول ٢٠٢٢، طالبةً فيه من هذه المدارس التوقّف عن تدريس المنهج الرسمي، واعتماد منهجها تحت طائلة إقفالها. بيد أن الطلب رُفِض في بيان رسمي لرئيس أساقفة منطقة الجزيرة، أعرب فيه عن رفضه أيّ تدخّل في شؤون المدارس السريانية، مشدّداً على أنها ستستمرّ في تدريس المنهج الحكومي السوري. وذكر رئيس الأساقفة تسوية كانت عُرِضَت عليه بأن تستمرّ المدارس في تدريس المنهج الرسمي شرط طردها الطلاب العرب والأكراد واليزيديين، والإبقاء فقط على طلابها السريان. لكن المدارس رفضت هذا الطلب معتبرةً إيّاه تمييزاً عنصرياً.[٤٨]

الجزء الثالث: وجهات النظر المحلية والاستياء من مناهج التعليم في القامشلي

لقد كان للصراع المتواصل بين النظام السوري والإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا من أجل السيطرة على قطاع التعليم في القامشلي تبعات سلبية كبيرة، أسفرت عن تراجعٍ في جودة التعليم.

لا تزال المدارس الرسمية تستقطب غالبية السكان المحليين، خصوصاً لرغبتهم في الحصول على درجات وشهادات مُعترَف بها دولياً، إلا أن ظروف التعليم فيها تبقى بعيدة كل البعد عن المثالية. فاكتظاظ الصفوف يمثّل تحدّياً كبيراً للمدارس الرسمية، إذ يجد المعلّمون أنفسهم مرهقين بسبب العدد الهائل من الطلاب الذين عليهم الاهتمام بهم، حيث يمكن أن يصل هذا العدد في الصف الواحد إلى ٨٥ طالباً. وما يعقّد الوضع أكثر هو الوتيرة التي يجري فيها قبول الطلاب الجدد. ففي ظلّ الحاجة إلى استيعاب المزيد من الطلاب، لا تُتاح للمعلّمين فرصةٌ وافيةٌ كي ينشئوا بيئة تعليمية هادفة، أو ينخرطوا في أنشطة تعليمية مُجدية. في هذا الإطار، شرح أحد الطلاب سبب التحاقه بمدرسة رسمية، والوضع بشكل عام، قائلاً: "التحقت بالمدرسة الرسمية للحصول على شهادة مُعترَف بها لغرض السفر والدراسة في الخارج في المستقبل، ولكن من المستحيل التركيز أو التعلّم كما يجب في صفّ يحوي ٨٥ طالباً".[٤٩]

لا شكّ في أن اكتظاظ الصفوف والضغط لتسجيل المزيد من الطلاب أسفرا عن حواجز كبيرة في طريق التعلّم الفعّال. فقد أصبح من الصعب أكثر فأكثر على المدرّسين تزويد الطلاب بالتعليمات المفيدة، والاهتمام بهم فرداً فرداً، في صفوفٍ تكاد تفيض بهم. على سبيل المثال، قال أحد المعلّمين في القامشلي: "لم نعد قادرين فعلاً على الالتزام بالتعليم، والعديد من الطلاب يعتمدون اليوم على الدروس الخصوصية في تعليمهم. غالباً ما أسأل نفسي عن الهدف من وجودنا هنا، والهدف من هذه المدارس، طالما أن الطلاب غير قادرين على التعلّم بشكل فعّال بسبب الاكتظاظ والتسرّع في تسجيل المزيد منهم".[٥٠]

٤٦ مقابلة مع صاحب مدرسة خاصة، القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

٤٧ مقابلة مع موظّف سابق في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، ألمانيا، تشرين الأول ٢٠٢٢.

٤٨ آسي مينا، "سوريا: مصير المدارس السريانيّة في الحسكة نحو المجهول"، ١٥ تشرين الثاني ٢٠٢٢، https://bit.ly/3qSuz0D

٤٩ مقابلة مع طالب في القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

٥٠ مقابلة مع مدرّس في ثانوية رسمية في القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

في المقابل، أعرب العديد من الأشخاص الذين قابلناهم عن قلقهم بشأن المدارس التابعة للإدارة الذاتية، حيث يبقى الشاغل الأول للسكان المحليين غيابُ اعتراف الحكومة السورية أو أيّ سلطة دولية بمنهج هذه الإدارة. ويرى العديد من السكان أن الطلاب من دون هذا الاعتراف قد يواجهون تحدّيات حينما ينوون متابعة تعليمهم أو السير في مسارات مهنية معيّنة. كما إن الأهل يخشون هدر وقت أولادهم، وضياع مستقبلهم، في حال فقدت الإدارة الذاتية سيطرتها على مدينة القامشلي. فقد قال مثلاً أحد السكان: "إذا أرسلت أولادي إلى مدارس الإدارة الذاتية، أشعر أني أضيّع وقتهم وحياتهم بما أن شهاداتها غير مُعترَف بها. ماذا سيصيب مستقبلهم لو أن الإدارة الذاتية فقدت سيطرتها على المدينة؟".[٥١]

إضافةً إلى ذلك، انتقد العديد من السكان المحليين إدراج محتوى سياسي في المنهج الخاص بالإدارة الذاتية، وهو رأي عبّر عنه أحد المدنيين بطلاقةٍ قائلاً: "أنا كردي، ولكني أيضاً سوري. لدي تقاليد ومعتقدات معيّنة، ولا أريد أن يتعلّم أولادي عن عبدالله أوجلان فقط.[٥٢] إذا كان لا بدّ من تعليمهم التاريخ السياسي للأمّة، فيجب أن يكون ذلك على نحو شامل، وإلا يُرتكَب الخطأ نفسه الذي ارتكبه نظام الأسد".[٥٣] وبالفعل، صحيح أن المشاكل المتمثّلة في المناهج المسيّسة، وغياب الموظّفين المؤهّلين، والتوظيف الفاسد، لطالما اعترت المدارس الرسمية، إلا أن السكان المحليين يميلون أكثر إلى انتقاد هذه المسائل في المدارس التابعة للإدارة الذاتية. فالعديد منهم يعتقدون بأن الإدارة الذاتية تمثّل نظاماً جديداً نسبياً، يُفترَض أن يكون متماشياً مع مبادئ الديمقراطية والإرادة الحرة التي تنادي بها الإدارة.

أخيراً، ينظر الكثير من السكان المحليين إلى التوظيف في مدارس الإدارة الذاتية على أنه يعطي أولويةً للاصطفاف السياسي أكبر ممّا يعطي للمهارات التعليمية، وجودة التعليم وسلامته.[٥٤] فقد أعرب العديد من الأشخاص، بمَن فيم معلّمون وأعضاء من المجتمع المحلي، عن تحفّظاتهم حيال الطريقة التي تُتّخَذ بها قرارات التوظيف في المدارس التابعة للإدارة الذاتية. قال أحد المعلّمين مثلاً: "أعرف المعلّمين الذين عُيّنوا لتطوير المناهج في مدارس الإدارة الذاتية، ولدي مخاوف بشأن مؤهّلاتهم. إن مؤهّلات المدرّسين المُعيَّنين مشكوك فيها، وستة أشهر من الإعداد غير كافية لتهيئتهم لمهنة التدريس".[٥٥]

نتيجةً لذلك، أصبحت المدارس والمعاهد الخاصة الخيار المفضّل للطلاب للاستحصال على الشهادات المُعترَف بها، وتحسين مستواهم التعليمي. ففي كانون الأول ٢٠٢٠، وصل عدد المعاهد والمدارس الخاصة إلى ٤٠، يحظى ١٢ منها بترخيص من وزارة التربية، فيما تعمل البقية بموافقة الوزارة الضمنية في انتظار الحصول على تراخيصها. انتشار المعاهد الخاصة هذا أدّى إلى نشوء سوق عمل مربحة لأصحاب هذه المؤسسات ومعلّميها وموظّفيها الإداريين، ولقطاع النقل الخاص أيضاً. كذلك نتج عنه ارتفاعٌ في أسعار إيجار المباني الواقعة في المربّع الأمني، من ٥٠ دولاراً إلى ١٠٠٠ دولار تقريباً بين العامَين ٢٠١٨ و٢٠٢٢,[٥٦] يُذكَر أيضاً أن معظم أصحاب هذه المؤسسات التعليمية يحاول التهرّب من أوامر الإدارة الذاتية القاضية بإقفالها. ما كان من هذه الضغوط الاقتصادية إلا أن جعلت المدارس والمعاهد الخاصة أكثر تكلفة، الأمر الذي فاقم العبء المالي للعديد من الأُسَر.[٥٧]

في الوقت عينه، يبقى الدخول إلى المدارس المسيحية صعباً نظراً إلى قلّتها، وإلى أنها تعطي الأولوية للطلاب المسيحيين. فهي تتقاضى من الطلاب غير المسيحيين ضعف الرسوم الدراسية السنوية للحدّ من التحاقهم بها. أَضِف

---

٥١ مقابلة مع مدني في القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

٥٢ عبدالله أوجلان هو رئيس حزب العمّال الكردستاني، وهي منظمة سياسية كردية متشدّدة وحركة مسلحة.

٥٣ مقابلة مع مدني في القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

٥٤ مقابلة مع مدرّس في القامشلي، تشرين الثاني ٢٠٢٢.

٥٥ مقابلة مع مدني في القامشلي، تشرين الأول ٢٠٢٢.

٥٦ يعود الارتفاع في أسعار الإيجار إلى العام ٢٠١٨، حينما أصدرت الإدارة الذاتية لمشال وشرق سوريا أمراً بمنع المعاهد الخاصة عن تدريس المنهج الرسمي. لكن أسعار الإيجار بلغت ذروتها في أوائل العام الدراسي ٢٠٢٢/٢٠٢٣، عندما نفذّت الإدارة الذاتية قرار إغلاق المدارس والمعاهد الخاصة الواقعة خارج المربّع الأمني.

٥٧ مجد السالم، "القامشلي.. 'الخصوصية' بمئات الآلاف وبالدولار أيضاً"، *عنب بلدي*، ١٩ أيلول ٢٠٢١، https://bit.ly/3IwIK2H

إلى ذلك أن المعاهد الخاصة مكلفة هي أيضاً، خصوصاً نسبةً إلى الدخل الأساسي،[٥٨] مع العلم أن رسومها الدراسية تختلف باختلاف المواد. على سبيل المثال، يمكن أن تصل تكلفة الرياضيات والفيزياء إلى ٢٠٠٠ دولار للمادة سنوياً، وهو مبلغ يُقسَّم بين الطلاب في الصف.[٥٩] والواقع أن عدم القدرة على الوصول إلى التعليم الخاص بسبب التكاليف الباهظة، ونقص الأماكن في المدارس المسيحية، يؤدّيان إلى زيادة التفاوت الاجتماعي وانعدام المساواة بين الجنسَين. لهذا السبب، تضطرّ العائلات إلى تسجيل ولد أو اثنين فقط في المدارس، مع تفضيل الذكور على الإناث في أغلب الأحيان، وهو ما لا يحدّ من الفرص التعليمية فحسب، بل يكرّس أيضاً المعايير الاجتماعية القائمة على التمييز.

بينما غالباً ما تختار الأُسَر الميسورة إدخال أولادها إلى المدارس الخاصة، تبقى المدارس الحكومية الخيار الأول لغالبية السكان المحليين، لرغبتهم في الحصول على شهادات مُعترَف بها دولياً. فحتى لو كانت المدارس الرسمية لا تقدّم بالضرورة تعليماً أفضل، يبقى التطلّع إلى الحصول على شهادات مُعترَف بها تفتح الأبواب أمام الفرص في الخارج، عاملاً مهمّاً في تفضيل المدارس الحكومية.

خاتمة

يستمرّ كلٌّ من النظام السوري والإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا في استخدام الحوافز والإجراءات القسرية في مدينة القامشلي لزيادة التحاق الطلاب بالمدارس التابعة لهما. فتوفير التعليم يظلّ أمراً بالغ الأهمية للطرفَين في سعيهما إلى اكتساب الشرعية، وفرض السيطرة على السكان المحليين. لكن على الرغم مما تبذله الإدارة الذاتية من جهودٍ للاعتراف بحقّ الأكراد في تعلّم لغتهم الأمّ، والحصول على مستوى تعليمي أفضل، ثمّة اعتراض واسع النطاق في المجتمع المحلي على تطبيقها السريع للمناهج، وإغلاقها الفرص التعليمية البديلة. هذا الأمر يتسبّب بإرساء بيئة خلافية، حيث تختلف وجهات النظر والمخاوف. في المقابل، يستغلّ النظام السوري الاعتراف الدولي بشهاداته لاستقطاب الطلاب، وإعادة تأكيد سلطته في المدينة. وهذا التنافس الذي سيتواصل على الأرجح في المستقبل المنظور، يشي بأن التعليم سيكون مجالاً رئيساً في أيّ مفاوضات في المستقبل بين الطرفَين في المنطقة. إن تبعات هذا المأزق الحالي لكبيرة، وتؤثّر على جودة التعليم، وتُفاقِم الانقسامات الاجتماعية، وتَحُدّ الفرص المتاحة للشباب.

وعلى الرغم من محاولات التفاوض بين مسؤولي كلّ من الإدارة الذاتية والنظام السوري، لم يجرِ التوصّل إلى حلّ حتى الآن. لكن من الممكن أن تكون للتقارب السوري-التركي المتطوّر، والعلاقات السورية-العربية، ودعم الولايات المتحدة للإدارة الذاتية، أدوارٌ في تشكيل البيئة السياسية، وبالتالي النظام التعليمي في المنطقة.

وفي حين لا يبدو أن التعليم هو القضية الأساسية، أو عقبة يستحيل التغلّب عليها، في المفاوضات بين الطرفَين المتنافسَين في القامشلي، قد تشمل التسويات المحتملة في المستقبل وضع جميع المدارس تحت إشراف وزارة التربية، وإعادة تدريب الطاقم التعليمي التابع للإدارة الذاتية، ودمجه في الوزارة، وإخضاع الطلاب لدورات تدريبية وامتحانات لمواءمتهم مع المنهج الرسمي، وإدراج بعض تعليم اللغة الكردية في المدارس الرسمية. غير أن مشهداً أقلّ تفاؤلاً قد ينطوي على فصل الطاقم التعليمي، والتطبيق السريع لمنهج جديد للسماح للطلاب باجتياز امتحانات وزارة التربية. عموماً، لا يزال التعليم في القامشلي جانباً من الجوانب الأساسية في الصراع المتواصل، وسيتطلّب الحلّ مفاوضات وتسويات معقّدة بين الطرفَين المعنيَّين. فإيجاد حلّ مستدام وشامل، يعطي الأولوية لاحتياجات السكان المحليين وتطلّعاتهم، لا يزال يشكّل تحدّياً ضاغطاً لضمان مستقبل أكثر إشراقاً لقطاع التعليم في المنطقة.

٥٨ يبلغ الحدّ الأدنى للراتب الشهري للعاملين في قطاع التعليم في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا ٥٢٠ ألف ليرة سورية (ما يعادل ٧٩،٦٠ دولاراً بحسب سعر الصرف الرسمي البالغ ٦٥٣٢ ليرة مقابل الدولار).

٥٩ مجد السالم، "القامشلي.. 'الخصوصية' بمئات الآلاف وبالدولار أيضاً".

تقرير مشروع بحثي
مشروع المسارات السورية
٤ تموز ٢٠٢٣

Syrian Trajectories Project

doi:10.2870/306251
ISBN:978-92-9466-474-7
QM-07-23-255-AR-N